

ما يجب على المسلم بعد التزامه

وبعد ذلك نقول: بعدما يمن الله عليك، وبكامل التزامك، وتكامل استقامتك، وتكامل نفسك، فتطهرها عن المعاصي، وتهذبها على الطاعة، وتستقيم على السنة، وتعمل بها، وتكون قد كملت نفسك، ماذا يجب عليك يا أخي بعد ذلك؟ يجب عليك أمر آخر ألا وهو الدعوة، دعوة إخوانك الأشقاء، ودعوة إخوانك وزملائك وجلسائك المحبين ونحوهم، لا شك أن هذا أيضا من واجب كل ملتزم، وما ذلك إلا أنه إذا لم يدعهم دعوه، فإذا قال: أنا قد سلمت، ولا أصغي إلى دعاة الضلال، ولا أستجيب لهم. نقول: ألسنت تحب أن يكثر أشبهائك وأعوانك؟ ألسنت تحب أن يكثر أنصارك الذين يذبون عنك؟ ألسنت تحب أن يكثر أهل الخير، وتحب للمسلمين أن يكون شبابهم وأن يكون أولادهم على الدين الحنيف؟ إذا كنت تحب ذلك فابدل ما تستطيعه من الأسباب، هذه الأسباب هو أنك تأخذ بيد إخوانك، وتسير بهم معك على الطريق التي أنت تسير عليه، وتحرضهم على أن يلتزموا كما التزمت، وأن يستقيموا كما استقيمت؛ فإنك إذا لم تدعهم دعوك. إذا فهذا من واجبننا، وما أحوجننا إلى كثرة الدعوة، وما أحوجننا إلى كثرة المعلمين والمرشدين ونحوهم، ولو أن الذين تدعوهم قد يكونون بعيدين عن الاستقامة وعن الالتزام، لكن لا تياس، لا تياس أن تبذل جهدا. ويسرنا -والحمد لله- ما رأيناه في هذه المدينة من كثرة المكاتب التعاونية، وكثرة الدعاة الذين يدعون، ولكن يشتكون، يشكون أن الناس أكثر، وأن المنحرفين أكثر، وأن أهل الاستقامة وأهل الالتزام وأهل الطاعة والتمسك مقتضرون على أنفسهم، ولا شك أن هذا خلل ونقص، نقص في الالتزام، ولو أنه استقام في نفسه لكن بقي عليه أمر آخر، وهو نفع غيره. سمعتم -وتسمعون دائما- قول الله تعالى في صفة أهل النجاة: { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ } لم يقتصر على إصلاحهم أنفسهم: { آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ }؛ كملوا أنفسهم، لم يقتصروا على ذلك؛ بل تعدوا إلى غيرهم: تواصلوا بالحق وتواصلوا بالصبر، فلنكن كذلك، فإننا بحاجة إلى التواصل، بحاجة إلى أن نتواصل، حتى الملتزم منا والمستقيم هو بحاجة إلى أن يوصي، وإلى أن يوصي. كل منا بحاجة إلى أن يوصي صديقه وزميله وأخاه وقريبه، فيوصيه، كما أنه عند الفراق يوصيه بتقوى الله، كما أوصى بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- بعض أصحابه عند السفر بقوله: { اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالف الناس بخلق حسن } . فالتواصي بالحق هو: أن تعرض المسألة على أخيك، وتقول له: يا أخي، أليس تمسكك بهذه السنة أولى من إخلالك بها؟ إذا فلماذا تتراخي في السير عليها؟ ولماذا تتراخي في العمل بها؟ أو: أليس فعلك لهذه الجريمة ولهذه المعصية أليس ذنبا؟ أليس ذنبا من الذنوب الذي يقدح في عدالتك، ويقدح في استقامتك، لماذا تصر عليه؟ لماذا تفعله وأنت تعرف أنه نقص، وأنه ينقص إيمانك، وينقص طواعيتك، وينقص حسناتك، ويزيد في سيئاتك؟ لماذا تصر عليه؟ فإذا أجب بجواب غير مقنع، بينت له الجواب الصحيح، بينت له الطريق المستقيم، حشته على أن يترك هذه الشبهات، وأن يتمسك بالسنة. كذلك أيضا لا شك أن أنواع التعاون كثيرة، وأنها من الوسائل التي يقوى بها الإسلام، وتقوى بها وتظهر بها كلمة الله سبحانه وتعالى، ويقوى بها أهل الشريعة. وفي استطاعة كل من قرأ القرآن، وقرأ على المشايخ، وحضر الدروس التي تقام مثلا في هذا المسجد، والتي يقيمها شيخكم -وفقه الله- وغيره من المشايخ، وحرص أيضا على أن يتفقه في الشريعة وفي الإسلام، يقرأ كتب الفقه وكتب الأحكام، أو يحفظ ما تيسر منها يصدق عليه أنه طالب علم، وأنه عالم وإن كان علما نسبيا. فعليه أن يحرص على تعدي هذا العلم منه إلى غيره بأي وسيلة، فإن استطاع أن ينتظم في سلك الدعاة إلى الله سواء رسميا، أو متعاونًا؛ فإن ذلك خير، وهو من وسائل نشر العلم ونشر الدين وكثرة المتمسكين به. ويؤسفنا قلة الذين ترسموا في هذا السلك؛ الذي هو سلك الدعوة إلى الله تعالى، الرسميون قلة مع سعة المدينة، ومع اتساع أطرافها وملحقاتها. كذلك أيضا يؤسفنا قلة الذين التزموا بالتعاون، وإن كان فيهم بركة -إن شاء الله- ولكن نجب الزيادة، نجب أن يكثروا، نجب أن كل من كان عنده مقدرة أن يضم نفسه إلى إخوانه، وأن يكون من جملة الذين يدعون إلى الله بأي وسيلة، ولو لم يحفظ إلا آية أو حديثا يبلغه، على حد قول النبي -صلى الله عليه وسلم- { بلغوا عني ولو آية } آية واحدة تحفظها وتبينها، لا شك أنك تكون بذلك عاملا بهذه الشريعة. وكذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- { نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها } أو: "سمع منا حديثا فبلغه" وكذلك قوله: { ليلغ الشاهد منكم الغائب } . إذا فهذه وسيلة، لا تحقر نفسك أن تنضم إلى هؤلاء الدعاة متعاونًا، أو مترسما؛ حتى تنفع نفسك بأدائك لشيء من هذا الواجب، وكذلك تنفع إخوانك فتخفف من الوطأة التي يتحملونها؛ حيث إنهم يتكلفون في الذهاب إلى الأماكن البعيدة، وقد يشق ذلك عليهم، فإذا وجدوا أن هذا تعاون معهم، وهذا تعاون، والثالث، والرابع، وكثر المنتظمون معهم؛ فإن ذلك أولا: يخفف الوطأة عليهم. وثانيا: تعم المنفعة، تعم المنفعة، لا يقتصر الإنسان على نفسه، ويقول: أصلحت نفسي، ولا حاجة إلى غيري. نقول: بلى، إنك محتاج إلى أن يكون لك أعوان، وإن الأمة بحاجة إلى علمك، وبحاجة إلى بيانك، وإن الناس الدعاة إلى الشر كثيرين، وإذا لم يكن هناك من يقاومهم، ومن يرد عليهم ضلالتهم؛ فلا شك أنهم سيتقوون عليك، وسيضطرونك إلى أن تخضع لهم، وأن تفر بأحقية ما هم عليه؛ فترك التزامك، أو يخف هذا الالتزام معك.